آيات و قصة

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ

أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

٩٦



رزق هيبة

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

(٩٦)

وفديناه بذبح عظيم

تأليف
رزق هيبه

رسوم
صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ
يَٰبُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾
فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ
صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ
ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

سورة الصافات

مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ:

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي: أَيْ مُهَاجِـرٌ مِنْ بَلَدِ قَوْمِي وَمَوْلِدِي، إِلَى حَيْثُ أَتَمَـكَّنُ مِنْ عِبَادَةِ رَبِّي، فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي فِيمَا نَوَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ.

غُلامٌ حَلِيمٌ: يَكُونُ حَلِيمًا وَهُوَ كَبِيرٌ، فَكَأَنَّ الْـبُشْرَى بِبَقَاءِ هَذَا الْوَلَدِ إِلَى أَنْ يَكْبُرَ؛ لأَنَّ الصَّغِيرَ لا يُوصَفُ بِأَنَّهُ حَلِيمٌ.

بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ: وَصَلَ إِلَى السِّنِّ الَّتِي يَتَمَكَّنُ فِيهَا مِنَ السَّعْيِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ.

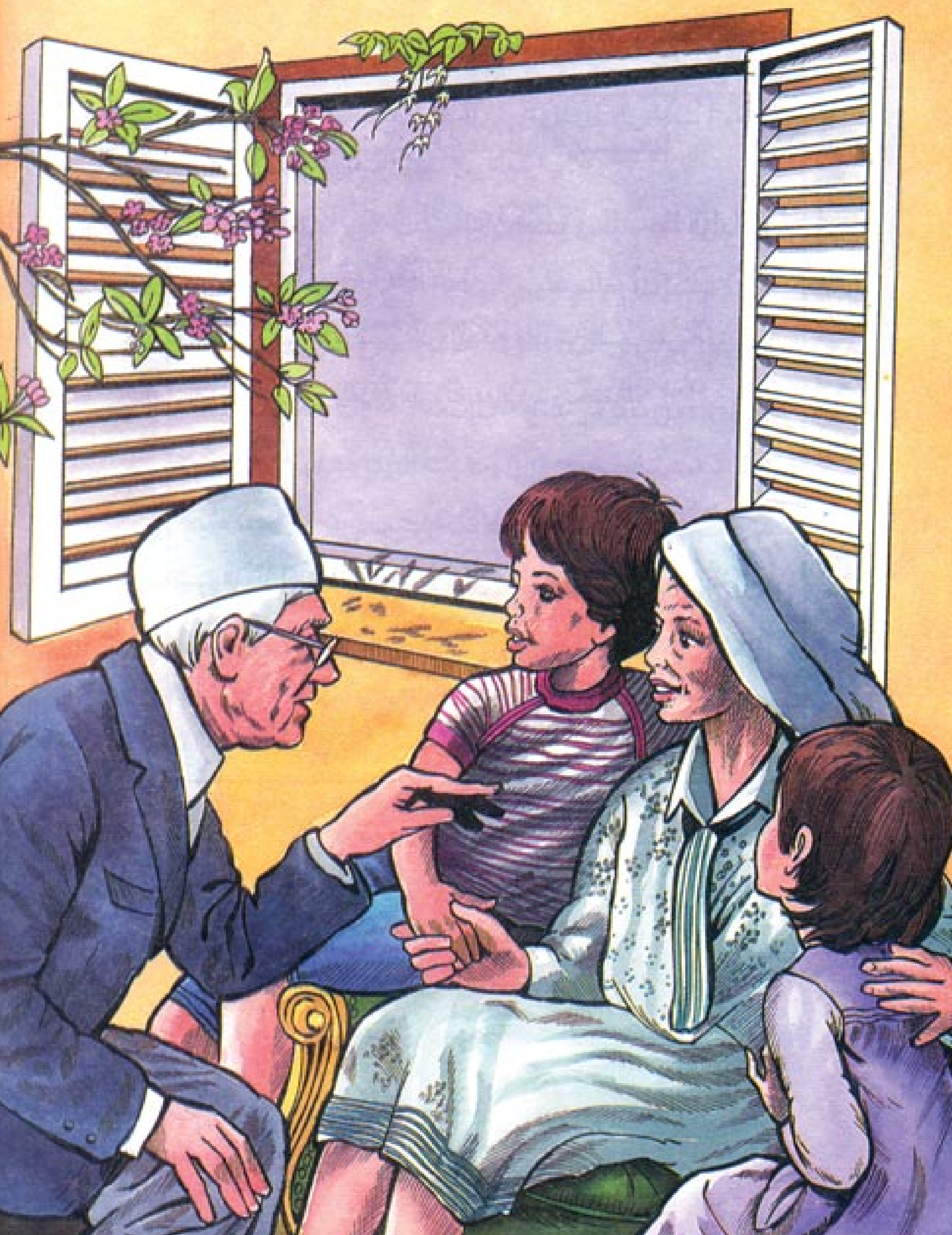
أَسْلَمَا: انْقَادَا لأَمْرِ اللهِ، وَعَزَمَا عَلَى تَنْفِيذِ الرُّؤْيَا وَتَحْقِيقِهَا.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ: كَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ؛ لِيَذْبَحَهُ.

الْبَلاءُ الْمُبِينُ: الاخْتِبَارُ الَّذِي يُبَيِّنُ صِدْقَ الإِيمَانِ وعُمْقَهُ فِي الْقُلُوبِ.

ذِبْحٍ عَظِيمٍ: الذِّبْحُ أَيِ الْمَذْبُوحُ، أَيْ فَـدَيْنَا إِسْمَـاعِيلَ بِذَبِيـحَةٍ عَظِيـمَةِ الْقَـدْرِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ عِظَمَ الْجُثَّةِ وَضَخَامَتَهَا.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ: أَيْ تَرَكْنَا لَهُ ذِكْرًا مَحْمُودًا، وَثَنَاءً جَمِيلاً فِي كُلِّ الأَجْيَالِ الَّتِي أَتَتْ وَتَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.



عَادَتِ الأُسْرَةُ مِنْ رِحْـلَتِهَا، وَاسْتَقَـرَّتْ فِي بَيْتِهَا، وَفِي اللَّيْـلَةِ التَّالِيَةِ أَخَذَتْ جَلْسَـتَهَا المعْتَادَةَ، وَقَالَ الْوَالِدُ:

لَقَدْ سَبَـقَتْ لَنَا أَحَادِيثُ عَنْ أَبِي الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ ، وَوَلَدِهِ إِسْـمَاعِيلَ عَلَيْهِـمَا السَّلامُ، وَحَدِيثُنَا الـلَّيْلَةَ يُكْمِلُ الحُدِيثَ الَّذِي جَـرَى عَنْهُمَا فِي جَـلَسَاتٍ سَابِقَـةٍ، وَلَكِنَّهُ فِي هَذِهِ المَرَّةِ سَيَكُونُ حَدِيثًـا عَنِ اخْتِبَارٍ يُعْـتَبَرُ أَصْعَبَ الاخْتِـبَارَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَبْتَلِيَ اللهُ بِهَـا عَبْدًا فِي حَيَاتِهِ، وَهَلْ هُنَاكَ اخْتِبَارٌ أَصْعَبُ مِنْ أَنْ يُؤْمَرَ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ بِأَنْ يَذْبَحَ وَلَدَهُ، قُرْبَانًا لِمَعْبُودِهِ؟.

قَـالَتْ إِيمَانُ: وَهَلْ مِنْ الْعُبُـودِيَّةِ أَنْ يَذْبَحَ الإِنْسَـانُ وَلَدَهُ قُرْبَانًا لِرَبِّهِ؛ إِنَّهَـا لَقَسْـوَةٌ لا يَرْضَاهَا اللهُ لِعِبَادِهِ.

قَالَ الوَالِدُ: رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللهُ لإِبْطَالِ عَادَةٍ مِنْ عَادَاتِ النَّاسِ أَنْ يَذْبَحُوا أَوْلادَهُمْ قُرْبَانًا لآلِهَتِهِمْ، فَجَاءَ أَمْرُ اللهِ لإِبْرَاهِيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْـمَاعِيلَ، ثُمَّ فِدَاءُ إِسْمَاعِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَـأَنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ لا يَجُـوزُ أَنْ نَتَـقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِدَمِ بَشَـرٍ، وَهُنَاكَ الْكَثِيـرُ مِنَ الحَيَـوَانَاتِ المُبَاحِ ذَبْحُهَـا وَأَكْلُهَا، اجْعَلُوهَا قَـرَابِينَ وَنُذُورًا، يَقْبَلُهَا اللهُ مِنْكُمْ، وَقَـدْ كَانَ هَذَا الأَمْرُ الإِلَهِيُّ لإِبْرَاهِـيمَ بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِـيلَ عَلَيْهِـمَا السَّـلامُ اخْتِبَـارًا لِمَدَى عُمْقِ إِيمَانِهِـمَا، وَصِدْقِهِمَا فِي الثِّـقَةِ المُطْلَقَةِ بِأَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُرِيدُ لِعِبَـادِهِ الخَيْرَ وَلا يَأْمُرُهُمْ إِلا بِمَا فِيـهِ سَعَادَتُهُمْ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِـكَ يَأْتِي بِالفَرَجِ الْقَرِيبِ، وَيَجْـعَلُ مِنَ الضِّيقِ مَخْرَجًـا، وَبَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

قَـالَ أَشْرَفُ: لَقَـدْ شَوَّقْـتَنَا يَا وَالِدِي إِلَى هَذِهِ القِـصَّةِ، فَـارْوِهَا لَنَا، وَنَحْنُ كُلُّنَا آذَانٌ تُصْغِي، وَقُلُوبٌ تَعِي، وَهَا نَحْنُ أُولاءِ مُنْصِتُونَ.

قَالَ الْوَالِدُ: عرَفْنَا فِي جلَسَاتِنَا السَّابِقَةِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ -عليهِمَا السَّلَامُ- مِثْلَ نَبْعِ زَمْزَمَ، وَبِنَاءِ الْكَعْبَةِ، ونَجَاةِ أَبِي الأَنْبِيَاءِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ مِنَ الاحْتِرَاقِ بِالنَّارِ، الَّتِي أَلْقَاهُ الْمُشْرِكُونَ فِيهَا، ونَعُودُ بِالذَّاكِرَةِ إِلَى بِدَايَةِ حَيَاةِ إِسْمَاعِيلَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- لَقَدْ صَحِبَهُ وَالِدُهُ وَهُوَ لا يَزَالُ طِفْلاً رَضِيعًا، وَسَارَ بِهِ تُرْشِدُهُ إِرَادَةُ اللهِ، وَتَحْدُوهُ عِنَايَتُهُ، وَطَالَ بِهِ السَّيْرُ وَامْتَدَّ الطَّرِيقُ حَتَّى وَقَفَ بِهِ فِي بُقْعَةٍ جَرْدَاءَ قَاحِلَةٍ، أَرَادَ اللهُ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَمَكَانًا مُبَارَكًا يَقْصِدُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، لأَدَاءِ الْفَرِيضَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ فَرِيضَةُ الحَجِّ.

هُنَاكَ أَنْزَلَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- هَاجَرَ وَطِفْلَهَا الرَّضِيعَ، وَتَرَكَهُمَا فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الجُرْدَاءِ الَّتِي لا ظِلَّ فِيهَا وَلا شَجَرَ وَلا مَاءَ، وَهُمَا ضَعِيفَانِ لا يَمْلِكَانِ شَيْئًا، سِوَى الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْقَلِيلِ مِنَ المَاءِ، وَالإِيمَانِ بِاللهِ الَّذِى تَطْمَئِنُّ بِهِ النُّفُوسُ، وَتَهْدَأُ الْقُلُوبُ، وَكَفَى بِاللهِ رَاعِيًا وَحَامِيًا وَنَصِيرًا.

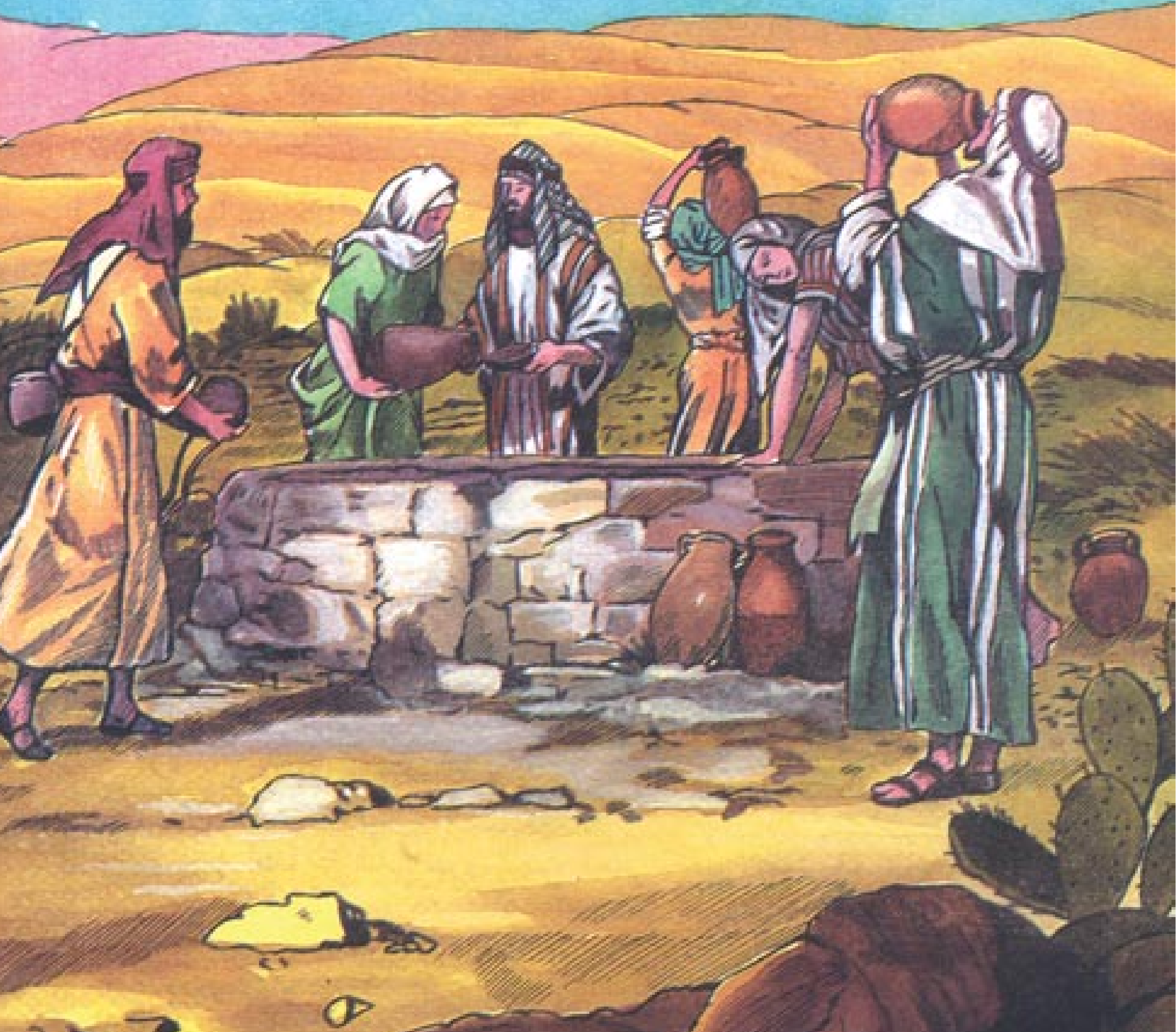
وَعِنْدَمَا الْتَفَتَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- عَائِدًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، أَمْسَكَتْ هَاجَرُ بِثَوْبِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ؟ وَلِمَنْ تَتْرُكُنَا فِي هَذَا الْوَادِي الْمُوحِشِ، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ دَيَّارٍ، وَلا نَافِخِ نَارٍ؟ فَقَالَ لَهَا: يَا هَاجَرُ، إِنَّ ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ تَعَالَى، وَلابُدَّ مِنَ الخُضُوعِ لأَمْرِ اللهِ، وَالتَّسْلِيمِ لِحُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ حِكْمَةً لا يُدْرِكُهَا الْبَشَرُ، فَاسْتَسْلَمتْ هَاجَرُ لأَمْرِ اللهِ، وَأَيْقَنَتْ بِأَنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَهَا، وَلَنْ يُضَيِّعَ وَلِيدَهَا الرَّضِيعَ، الَّذِي لا يَمْلِكُ وَلا تَملِكُ هِيَ أَيْضًا لَهُ حَوْلاً وَلا قُوَّةً. وَقَالَتْ مُسْتَوْثِقَةً : يَا إِبْرَاهِيمُ، هَلْ أَمرَكَ اللهُ حَقًّا بِهَذَا؟ قَالَ لَهَا: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذْن، فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَنَا.

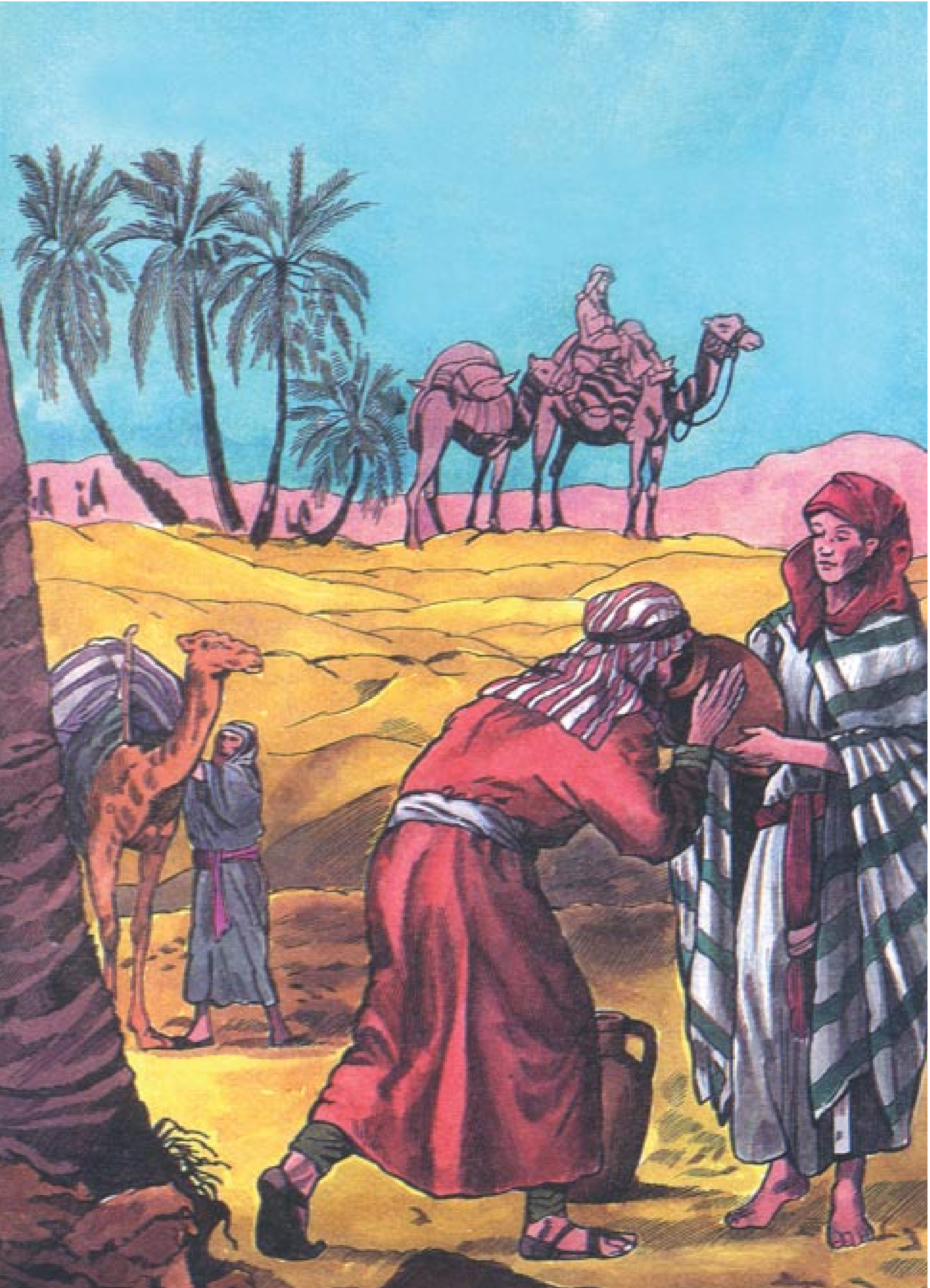
وَعَـادَ إِبْرَاهِيمُ ، وَقَـبْلَ أَنْ يَسِـيرَ خطَوَاتٍ ، الْـتَفَتَ خَلْفَـهُ، إِلَى حَـيْثُ تَرَكَ هَاجَـرَ وَوَلَدَهَا، يَدْعُو اللهَ أَنْ يَرْعَـاهُمَا بِرِعَايَتِـهِ، وَيَحْفَظَهُمَـا بِرَحْمَتِـهِ، قَالَ: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَتِي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الُمحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.

وَاسْتَجَـابَ اللهُ دُعَاءَ نَبِيِّهِ وَخَلِيـلِهِ، فَنَبَعَتْ فِي ذَلِكَ المَكَانِ الْقَفْرِ عَـيْنُ مَاءٍ زُلالٍ طَيِّبٍ سَـائِغٍ شَـرَابُهُ، هِيَ إِحْـدَى آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُـدْرَتِهِ، أَلا وَهِيَ بِئْـرُ زَمْـزَمَ الَّتِي لا تَزَالُ مَوْجُـودَةً حَتَّى الْيَوْمِ، مُنْذُ آلافِ السِّنِـينَ، يَزْدَحِمُ حَوْلَهَا حُـجَّاجُ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَيَسْـتَبِقُ النَّاسُ إِلَيْهَا يَرْوُونَ الظَّمأَ، وَيُبَرِّدُونَ الصُّدُورَ، بِمَا فِيهَا مِنْ رِيٍّ وَشِفَاءٍ.

لَمَّا نَبعَ ذَلِكَ المَاءُ، هَدَأَتْ نَفْسُ هَاجَـرَ، وَاطْمَأَنَّتْ، وَلَمْ يَمْضِ زَمَنٌ طَوِيلٌ حَـتَّى نَبَتَتْ بَعْضُ الأَعْشَابِ مِنْ أَثَرِ المَاءِ، وَحَـوَّمَتِ الطُّيُورُ حَوْلَهُ، فَاجْتَذَبَ ذَلِكَ أَنْظَارَ الْقَـوَافِلِ المُسَافِرَةِ الذَّاهِبَةِ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشَّامِ، وَالْعَائِدَةِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْيَمَنِ، وَكَـانَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ قَبِيلَةٍ تُسَمَّى قَبِيلَةَ جُرْهُمٍ تَسِيرُ قُرْبَ هَذَا المَكَانِ، فَـرَأَوُا الطَّيْرَ تُحَلِّقُ فِي أَجْوَائِهِ، وَتَحُطُّ عَلَى أَرْضِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعْرِفُونَ أَنَّ الطُّيُورَ لا تَقَعُ إِلا عَلَى مَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ مَاءٌ، وَنَحْنُ لَمْ نَعْرِفْ مِنْ قَبْلُ أَنَّ فِي هَذَا المَكَانِ مَاءً، فَـأَرْسَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ يَتَعَرَّفُ عَلَى المَكَانِ وَيَأْتِيهِمْ بِخَـبَرِهِ، فَرَجَعَ يَزُفُّ إِلَيْهِمُ الْبُشْرَى، فَـجَاءُوا إِلَى المَكَانِ جَمَاعَةً تِلْوَ جَمَاعَةٍ، وَاتَّخَـذَهُ بَعْضُهُمْ مَوْطِنًا وَمَكَانًا لِلسَّكَنِ وَالإِقَامَةِ، فَـأَنِسَتْ بِهِمْ هَاجَرُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِمْ، وَحَمِـدَتِ اللهَ- تَعَالَى- الَّذِي جَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيهِمْ، فَيَعْمُرُ المَكَانُ، وَيَطْمَئِنُّ فِيهِ الإِنْسَانُ.

قَبيلةَ جرهُم ومشاركتُهم هاجَـرَ وابنِها إسْماعيل فى ماءِ زمْزَمَ الذى كانَ سَبَبًـا فى قرارهم واستغْنائِهم بَعْدَ تَرحالِهم وفـقْرِهم وبحثهم الطَّويلِ حتَّى وجدُوا هذا الكنز الثَّمين « زمزم » .





وَمَرَّتِ الأَيَّامُ، وَأَرَادَ خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- أَنْ يَطْمَئِنَّ عَلَى زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ اللَّذَيْنِ تَرَكَهُمَا فِي الوَادِي القَفْرِ المُوحِشِ، فَوَجَدَ المَكَانَ غيرَ المكَانِ، وَالمَعَالِمَ غَيْرَ المَعَالِمِ. . إِنَّ هُنَا نَاسًا وَخِيَامًا وَحَرَكَةً، وَحَيَاةً وَخُضْرَةً وَأَعْشَابًا، فَمِنْ أَيْنَ أَتَتْ، وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ، وَذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ آخرَ غَيرِ المَكَانِ الَّذي يُرِيدُ . فَسَأَلَ بَعْضَ مَنِ الْتَقَى بِهِمْ: هَلْ هَذَا وَادِي مَكَّةَ؟ هَلْ تَعْرِفُونَ هُنَا امْرَأَةً اسْمُهَا هَاجَرُ، لَهَا وَلَدٌ اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ؟.

وَأَجَابَهُ الَّذِينَ سَأَلَهُمْ، قَالُوا: نَعَمْ، أَيُّهَا الشَّيْخُ الجَلِيلُ المُبَارَكُ، هَذَا وَادِي مَكَّةَ، وَبَعْدَ خَطَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، تَجِدُ هَاجَرَ وَوَلَدَهَا إِسْمَاعِيلَ.

وَأَشَارُوا لَهُ إِلَى خَيْمَتِهِمَا.

وَطَارَ إِبْرَاهِيمُ فَرَحًا بِذَلِكَ الخَبَرِ السَّعِيدِ، لَقَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ، وَهَا هِيَ ذِي أَفْئِدَةٌ منَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَى ذُرِّيَّتِهِ، وَهَا هِيَ الخُضْرَةُ تَمْلأُ المَكَانَ، فَلْيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ، وَلْيَشْكُرِ اللهَ عَلَى مَا أَوْلاهُ ، وَأَوْلَى ذُرِّيَّتَهُ مِنْ نِعَمٍ، وَمَا حَبَاهُ وَحَبَاهُمْ مِنْ عَطْفٍ وَرَحْمَةٍ.

وَظَلَّ إِبْرَاهِيمُ، يَأْتِي بَيْنَ الحِينِ وَالحِينِ لِرُؤْيَةِ إِسْمَاعِيلَ وَأُمِّهِ، إِلَى أَنْ كَانَتْ زِيَارَةُ الابْتِلاءِ المُبِينِ.

وَسَكَتَ أَبُو أَيْمَنَ قَلِيلاً، وَرَاحَ يَمْسَحُ جَبِينَهُ، كَأَنَّمَا يَعْتَصِرُ ذِهْنَهُ لِيجمَعَ أَفْكَارَهُ، ثُمَّ تَابَعَ الحَدِيثَ، قَالَ:

نَامَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَرُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَحيٌ مِنَ اللهِ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَتَكَرَّرَتْ هَذِهِ الرُّؤْيَا ثَلاثَ لَيَالٍ مُتَتَابِعَاتٍ، فَتَأَكَّدَ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، وَقَدْ كَبرَ إِسْمَاعِيلُ وَشَبَّ عَنِ الطَّوْقِ، وَأَصْبَحَ فِي السِّنِّ الَّتِي يُمكِنُهُ فِيهَا أَنْ يَسْعَى وَيُدَبِّرَ شُئُونَ حَيَاتِهِ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِن أَنَّ الرُّؤْيَـا وَحْيٌ مِنَ اللهِ، إِلا أَنَّ إِبْراهِيمَ- عَلَيـهِ السَّـلامُ- تَروَّى فِي الأَمْرِ لأَنَّهُ لَيْسَ أَمرًا هَيِّنًا، وَلا عَادِيًّا، إِنَّهُ أَمْرٌ بِذَبْحِ وَلَدِهِ وَفِلْذَةِ كَبِـدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِـنْ شَهْرِ ذِي الحِـجَّةِ فَسُـمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يومَ التَّـرْوِيَةِ، وَفِي اللَّيْلَةِ التَّالِـيَةِ رَأَى الرُّؤْيَا نَفْسَهَا، فَعَرَفَ وَأَيْقَنَ أَنَّهَا رُؤْيَا حَقٍّ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يومَ عَرَفَةَ، وَفِي الْيَوْمِ العَاشِرِ مِنْ ذِي الحِجَّـةِ قَرَّرَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلامُ- تَنْفِـيذَ الرُّؤْيَا، امتِـثَالاً لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى، فَـصَدَعَ إِبْرَاهِيمُ بِالأَمْرِ.

يَقُولُ بَعْضُ المُؤَرِّخِـينَ ، أَنَّ الرُّؤْيَا كَانَتْ تَأْتِي إِبْرَاهِيمَ، كَلامًـا، إِذْ كَانَ يَسْـمَعُ هَاتِفًا يَأْمُرُهُ بِهذَا، جَـاءَهُ فِي اللَّيْلَةِ الأُولَى، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، اذْبَحِ ابْنَكَ فِي سَـبِيلِ اللهِ. فَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا، وَاسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنْ مكْرِ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ عَاوَدَ نَوْمَهُ، فَعَاوَدَهُ الْهَاتِفُ بِقَوْلِهِ: يَا إِبْرَاهِيمُ اذْبَحْ ابْنَكَ فِي سَبِـيلِ اللهِ، فَهَبَّ إِبْرَاهِيمُ قَائِمًا، وَقَـدْ صَحَّ عِنْدَهُ أَنَّ الْهَاتِفَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَتَحَقَّقَ بِأَنَّ اللهَ يَأْمُرُهُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ الحَبِيبِ.

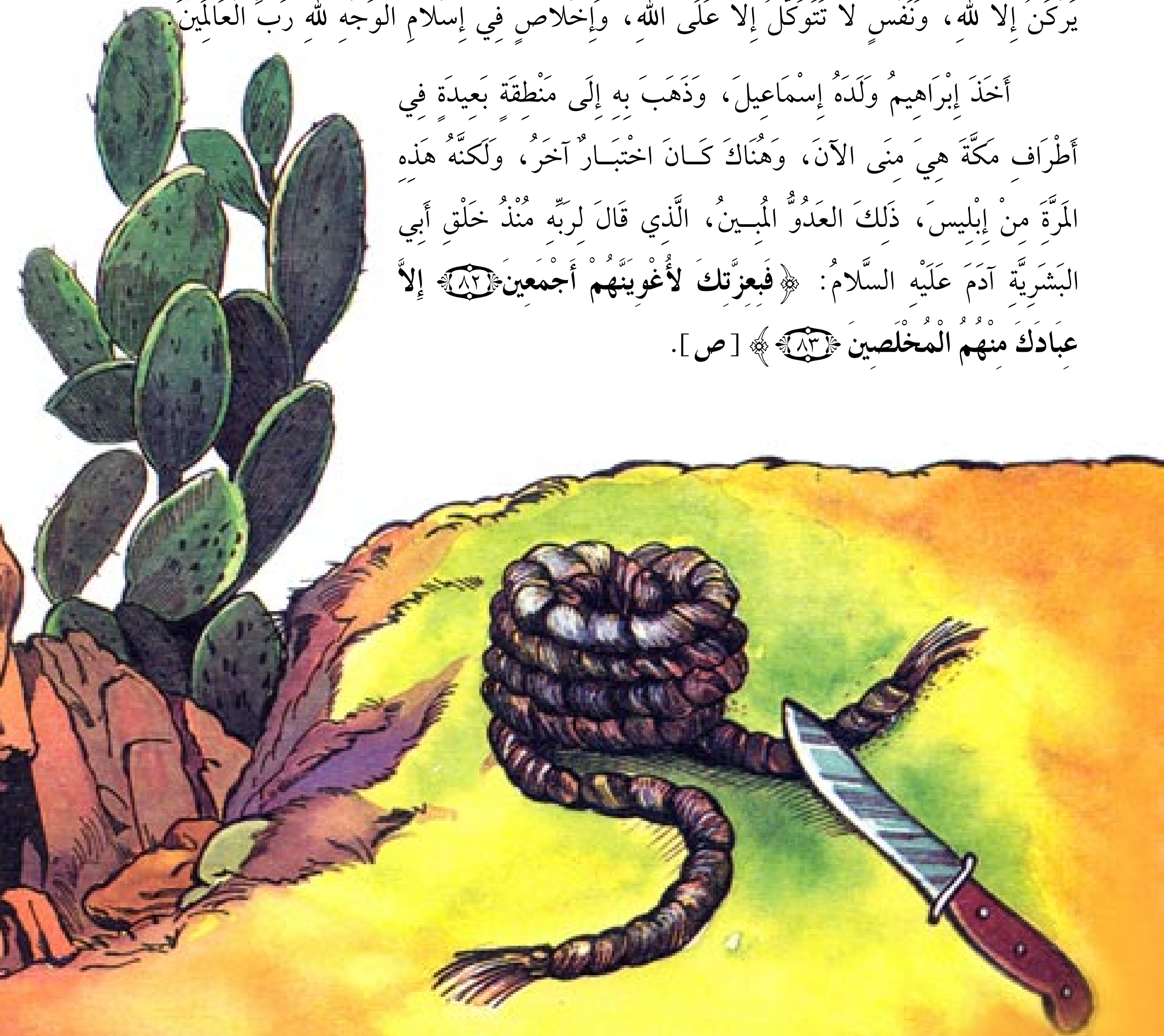
وَجَـاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى ابْنِهِ، فَقَـالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ، خُـذِ الحَبْلَ وَالمُـدْيَةَ، وَانْطَلِقْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْهَضَبَةِ لِـنَحْتَطِبَ. فَفَعَلَ الْغُلامُ مَا أَمَـرَهُ بِهِ أَبُوهُ وَتَبِعَهُ إِلَى الْهَضَبَةِ الَّتِي أَشَـارَ إِلَيْهَا، وَهُنَاكَ صَـارَحَ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَهُ بِأَمْـرِ اللهِ، قَالَ لَهُ: يَا وَلَدِي إِنِّـي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَـحُكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ حَقٌّ، وَأَمْرٌ مِنَ اللهِ يَجِبُ تَنْفِيذُهُ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟.

إِنَّهُ الاخْتِبَـارُ وَالابتِلاءُ لِلْوَالِدِ وَالوَلَدِ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَكِنَّ الأَنْبِيَـاءَ وَهُمُ الأُسْوَةُ وَالْقُدْوَةُ لِلْبَشَـرِيَّةِ كُلِّهَا يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ المُسْتَسْلِمِينَ لأَمْرِ اللهِ. . وَمَنْ بَعْدَهُمْ سَيَكُونُ أُسْوَةً إِنْ لَمْ يَكُونُوا هُمْ؟.

وَمِنْ هُنَا تَتَـجَلَّى ذِرْوَةُ الإِيمَانِ، وَقِمَّةُ الصَّـبْرِ، وَالتَّـسْلِيمِ لأَمْرِ اللهِ، فَالوَالِدُ يَـسْتَشِـيرُ الوَلَدَ، وَلا يَبْغِي أَنْ يَذْبَحَـهُ غِيلَةً، وَالوَلَدُ الصَّابِرُ المؤْمِنُ يَسْـتَكِينُ لأَمْرِ اللهِ، وَيَخْضَعُ لِمَشِيـئَةِ رَبِّهِ، وَيَقُولُ: يَا أَبَتِ افْـعَلْ مَا تُؤْمَرُ، وَنَفِّذْ مَـا يُرِيدُ اللهُ مِنْكَ، وَحَقِّقِ الرُّؤْيَا الَّتِي أَوْحَى اللهُ بِهَـا إِلَيْكَ، فَلَنْ أَعْـصِيَ لَكَ أَمْـرًا، وَلَنْ أُخَـالِفَ لَكَ رَأْيًا، وَسَـتَـجِـدُنِي إِنْ شَـاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

كَانَتِ الإِجَابَةُ تَعْنِي الامْتِـثَالَ لأَمْرِ اللهِ، وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَالخُضُوعَ لِمَشِـيئَتِهِ، بِقَلْبٍ لا يَرْكَنُ إِلا للهِ، وَنَفْسٍ لا تَتَوَكَّلُ إِلا عَلَى اللهِ، وَإِخْلاصٍ فِي إِسْلامِ الوَجْهِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْطِقَةٍ بَعِيدَةٍ فِي أَطْرَافِ مَكَّةَ هِيَ مِنَى الآنَ، وَهُنَاكَ كَـانَ اخْتِبَـارٌ آخَرُ، وَلَكِنَّهُ هَذِهِ المَرَّةَ مِنْ إِبْلِيسَ، ذَلِكَ العَدُوُّ المُبِـينُ، الَّذِي قَالَ لِرَبِّهِ مُنْذُ خَلْقِ أَبِي البَشَرِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)** ﴾ [ص].



فَقَدْ جاءَ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ فِي صَدْرِ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَهُ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟ لَقَدْ طَعَنْتَ فِي السِّنِّ، وَأَصْبَحَ بينَكَ وَبَيْنَ الْقَبْرِ خَطَوَاتٌ، وَلَيْسَ لَكَ إِلا هَذَا الوَلَدُ، الَّذِي يَتَطَلَّعُ إِلَى الحَيَاةِ وَبَهْجَتِهَا، وَلَعَلَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي وَسْوَسَ لَكَ فِي المَنَامِ بِتِلْكَ الرُّؤْيَا، أو نَادَاكَ بِذَلِكَ الصَّوتِ الَّذِي سَمِعتَهُ، فَهَلْ تَذْبَحُ ابْنَكَ وَفِلْذَةَ كَبِدِكَ الَّذِي رُزِقْتَ بِهِ عَلَى الكِبَرِ، مِنْ أَجْلِ وَسْوَسَةٍ لا تَدْرِي إِنْ كَانَتْ أَمْرًا مِنَ اللهِ، أَمْ خَوَاطِرَ شَيْطَانِيَّةً تَجُولُ فِي صَدْرِكَ؟ لا ، لا تَفْعَلْ وَإِلا أَصْبَحْتَ مِنَ النَّادِمِينَ.

وَيَتَجَلَّى إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ، وَصِدْقُ اللهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ مُخَاطِبًا إِبْلِيسَ: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿٤٢﴾﴾ [**الحجر**]. فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ سُلْطَانٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيهِ السَّلامُ-: اغْرُبْ عَنْ وَجْهِي أَيُّهَا الشَّيْطَانُ، فَمَا أَنْتَ إِلا إِبْلِيسُ اللَّعِينُ.

وَانْحَنَى إِبْرَاهِيمُ- عَلَيهِ السَّلامُ- وَالْتَقَطَ سَبْعًا مِنَ الحَصَا ، رَجَمَ بِهَا إِبْلِيسَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَا قَالَهُ.



وَمَرَّ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَيْأَسْ مِنْ حُدُوثِ الفِتْنَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا لِبَيْتِ النُّبوَّةِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ، إِذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَصْقَلَتْهُ تَجَارِبُ الأَيَّامِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيَّ، فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ لا يَزَالُ شَابًّا مُرَاهِقًا يُمكِنُ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ كَلامِي، فَهُوَ لا يَزَالُ يَسْتَقْبِلُ الحَيَاةَ، وَيُحِبُّ أَنْ يَعِيشَ، فَلأَذْهَبْ إِلَيْهِ، فَرُبَّمَا اسْتَطَعْتُ التَّأْثِيرَ عَلَيْهِ.

وَذَهَبَ الشَّيْطَانُ إِلَى إِسْمَاعِيلَ، وَقَالَ لَهُ: يَا إِسْمَاعِيلُ، أَنْتَ شَابٌّ فِي زَهْرَةِ الْعُمرِ، وَرَوْنَقِ الشَّبَابِ، وَالحَيَاةُ أَمَامَكَ جَمِيلَةٌ، فِيهَا الْبَهْجَةُ وَالْمُتْعَةُ وَالنَّعِيمُ، فَكَيْفَ تَسْمَحُ لأَبِيكَ ، وَهُوَ شَيْخٌ عَجُوزٌ، لَمْ تَعُدِ الحَيَاةُ تُهِمُّهُ فِي شَيْءٍ، أَنْ يَذْبَحَكَ، وَيحرِمَكَ مِمَّا يَعِيشُ فِيهِ الشَّبَابُ مِنْ لَذَّةٍ وَمُتْعَةٍ، وَمَتَاعٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا؟ اهْرَبْ يَاإِسْمَاعِيلُ، وَتَمَتَّعْ بِحيَاتِكَ، قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ النِّهَايَةُ عَلَى يَدِ أَبِيكَ.

وَلَكِنَّ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ رَبِّهِ، يُلْقِي فِي وَجْهِ الشَّيْطَانِ بِكَلِمَاتٍ لا تَخْرُجُ إِلا مِنْ قُلُوبِ المؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ، فَقَالَ لَهُ: لا شَكَّ أَنَّكَ أَنْتَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، الَّذِي عَرَّفَنَا رَبُّنَا بِأَنَّكَ لَنَا عَدُوٌّ مُبِينٌ، وَأَنَا أَقُولُ لَكَ: إِنَّ الوَاجِبَ عَلَى الابْنِ أَنْ يُطِيعَ أَبَاهُ، وَأَبِي إِنَّمَا هُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَأَمْرُهُ أَمْرٌ مِنَ اللهِ، فَكَيْفَ أُخَالِفُ أَبِي، وَأَعْصِي أَمْرَ اللهِ، وَأُطِيعُ كَائِنًا قَدْ عَلِمتُ أَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ الأَعْدَاءِ لِلمؤْمِنِينَ، لا ، لا ، لَنْ أَعْصِيَ أَبِي، وَلَوْ كَلَّفَتْنِي طَاعَتِي لَهُ أَنْ أَفْقِدَ الحَيَاةَ لَكُنْتُ لَهَا مِنَ البَاذِلِينَ.

وَانْحَنَى إِسْمَاعِيلُ وَالْتَقَطَ سَبْعَ حَصَوَاتٍ، وَرَاحَ يَرْجُمُ بِهَا إِبْلِيسَ، وَكَرَّرَ الرَّجْمَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَأْكِيدًا لمخَالَفَتِهِ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ، وَإِذْعَانِهِ لأَمْرِ رَبِّهِ عَنْ صِدْقٍ وَيَقِينٍ.

وَمَرَّةً أُخْرَى لَمْ ييأَسِ الشَّيْطَانُ، فَأَسْرَعَ لِيَلْتَقِيَ بِالسَّيِّدةِ هَاجَرَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ، فَوَجَدَهَا جَالِسَةً أَمَامَ الكَعْبَةِ، تتعبَّدُ وتَذْكُرُ اللهَ، فِي خُشُوعٍ وإِخْبَاتٍ لِخَالِقِ الكَونِ العَظِيمِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ، إِنَّ عَاطِفَةَ الأُمِّ جَيَّاشَةٌ نَحوَ وَلِيدِهَا، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ وَحِيدًا، وَهَذَا هُوَ المَدْخَلُ الَّذِي عَنْ طَرِيقِهِ سَأَصِلُ إِلَى قَلْبِ هَاجَرَ، وأُفْسِدُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ نِيَّتَهُ فِي ذَبْحِ وَلَدِهِ قُرْبَانًا لِرَبِّهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: أَيَّتُهَا المَرْأَةُ الخَاشِعَةُ، اسْمَعِينِي فَإِنِّي لَكِ مِنَ النَّاصِحِينَ، هَلُمِّي فَأَدْرِكِي وَلَدَكِ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فِي الهَالِكِينَ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ أَخَذَ وَلَدَكِ لِيَذْبَحَهُ، وَهَاهُمَا هُنَاكَ فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْكِ، فَأَسْرِعِي لِتُنْقِذِيهِ مِنَ السِّكِّينِ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ أَبُوهُ فَعلَتَهُ، فَتُصْبِحَا مِنَ النَّادِمِينَ.

قَالَتْ هَاجَرُ: وَلِمَاذَا يَذْبَحُ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَهُ الوَحِيدَ؟.

قَالَ الشَّيْطَانُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ، وَيَدَّعِي أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا وَحْيٌ مِنَ اللهِ، وَأَنَّهَا أَمْرٌ لَهُ بِذَبْحِ وَلَدِهِ قُرْبَانًا لِرَبِّهِ، وَيُصِرُّ عَلَى تَنْفِيذِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ.

قَالَتْ هَاجَرُ، وَقَلْبُهَا مُفْعَمٌ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَالثِّقَةِ بِأَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ لا يُضَيِّعُ مُحِبِّيهِ:

أَوَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ذَلِكَ، وَخَضَعَ لأَمْرِ رَبِّهِ؟ وَهَلِ اسْتَشَارَ وَلَدَهُ؟.

قَالَ الشَّيْطَانُ: نَعَمْ.

قَالَتْ هَاجَرُ: وَمَاذَا كَانَ رَأْيُ إِسْمَاعِيلَ؟.

وَظَنَّ الشَّيْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ الحِوَارَ سَيُفْلِحُ فِي أَنْ يُثِيرَ عَاطِفَةَ هَاجَرَ، فَتُحَاوِلَ إِنْقَاذَ وَلَدِهَا، فَقَالَ: إِنَّ إِسْمَاعِيلَ لا يَزَالُ غِرًّا صَغِيرًا، فَهُوَ فَتًى لا يُدْرِكُ عَوَاقِبَ الأُمُورِ، وَقَدِ اسْتَجَابَ لِرَأْيِ أَبِيهِ، وَأَذْعَنَ لَهُ، وَإِنْ لَمْ تُسْرِعِي الآنَ لإِنْقَاذِهِ، فَلَنْ تَرَاهُ عَيْنَاكِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ عَمَّا قَلِيلٍ سَيَكُونُ فِي عِدَادِ الْهَالِكِينَ.

وَلَمْ تَثُرْ عَاطِفَـةُ هَاجَرَ، بَلْ زَادَتْ إِيْمَانًا وَامْتِـثَالاً لِمَشِيئَةِ اللهِ، وَعَـادَتْ بِهَا الذَّاكِرَةُ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ إِلَى هَذَا المَكَانِ، وَحَطَّتِ الرِّحَالَ، وَهُوَ مَكَانٌ قَفْرٌ مُوحِشٌ مُجدِبٌ، لا أَنِيسَ فِيهِ، وَقَـالَتْ فِي نَفْسِهَا: إِنَّ اللهَ الَّذِي حَفِظَنَا وَرَعَـانَا كُلَّ هَذِهِ المُدَّةِ مِنَ الزَّمَانِ، وَرَزَقَنَا بِالمَاءِ وَالطَّعَامِ، وَآتَانَا هَذِهِ النِّعْـمَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا مَنْ يُؤْنِسُ وَحْشَتَنَا، لَنْ يُضَيِّعَ إِسْـمَاعِيلَ فِي شَبَابِهِ. ثُمَّ الْتَفَتَتْ إِلَى الشَّيْطَانِ وَقَـالَتْ لَهُ: إِذَنْ أَنْتَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، فَاغرُبْ عَنْ وَجْهِي أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ.

وَكَمَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، انْحنَتْ هَاجَـرُ وَجمعَتِ الحَصَا، وَرَجمتْ بِهِ الشَّيْطَانَ، فَوَلَّى هَارِبًا وَلَمْ يُعَـقِّبْ، وَلَمْ تَنْطَلِ لَهُ أَيَّةُ حِيلَةٍ عَلَى أُسْرَةِ أَبِي الأَنبِـيَاءِ خَلِيلِ اللهِ، إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلامُ-.

لَقَـدْ كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ أُسْـرَةٍ فِي الجُزِيرَةِ الْعَـرَبِيَّةِ، تَحْـمِلُ لِوَاءَ الدَّعْوَةِ إِلَـى الإِسْلامِ، وَتَوحِـيدِ اللهِ عَـزَّ وَجَلَّ وَتَرْفَعُ رَايَةَ الأَمْرِ بِعِـبَادَةِ اللهِ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لِذَلِكَ جَـعَلَ اللهُ أَعْمَالَهَا هَذِهِ شَعَائِرَ مِنْ مَنَـاسِكِ الحَجِّ، لِنُجَدِّدَ ذِكْرَى هَذِهِ الأُسْرَةِ الصَّابِرَةِ المُؤْمِنَةِ فِي قُلُوبِنَا، وَنَتَّخِـذَ مِنْهَا أُسْوَةً حَـسَنَةً وَقُدْوَةً طَيِّبَةً فِـي أَعْمَالِنَا، وَتَوَجُّهِـنَا إِلَى اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَنَرْتَبطَ بِزَعِيـمِهَا الَّذِي هُوَ الأَبُ الرُّوحِيُّ لِلمؤْمِنِـينَ جَمِيعًـا، الَّذِينَ أَمرَهُمُ اللهُ- سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى- بِاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿ ...**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ... ﴿٧٨﴾ ﴾ [**الحج**].

قَالَتْ إِيمَانُ: وَمَاذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ؟ وَكَيْفَ أَنْقَذَ اللهُ إِسْمَاعِيلَ- عَلَيْهِ السَّلامُ؟.

قَالَ الوَالِدُ: سَـارَ إِسْمَـاعِيلُ مَعَ وَالِدِهِ إِبْرَاهِيمَ، إِلَى أَنْ وَصَـلا إِلَى مِنْطَقَةٍ خَـالِيةٍ فِي مِنَى، وَاسْتَعَدَّا لِتَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ، فَقَالَ إِسْمَـاعِيلُ: يَا أَبِي لا تَتردَّدْ فِيمَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ، وَافْعَلْ مَا تُؤمَرُ، لا تَنْظُرْ إِلَى وَجْهِي فَـتَأْخُذَكَ بِي شَفقَةٌ، وَشُـدَّ وَثَاقِي، وَأَحْكِمِ الرِّبَاطَ، حَتَّى لا أَفِرَّ مِنْكَ إِذَا فَكَّرْتُ فِي الفِرَارِ مِنَ المَوْقِفِ، وَسَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ.

كـبش أبيض أعين أقـرن سـمين، لم تنظر العـين إلى كبـش أصح منه ولا أبهى هيئة.

لقد سَنّ إبراهيمُ سنةَ الفِـدَاء منذُ أمِر بذبْحِ ولِده إسماعيلَ فـفَدَاه اللَّه بذبْحٍ عظيمٍ شهادةً منْهُ تـعالى بنجاحِ إبراهيمَ وابنهِ فى هذا الابْتلاءِ الرَّهيب وصـارَت سنةً من بْعده حتَّى قيَامِ السَّاعة.



وَامْتَـثَلا لأَمْرِ اللهِ، وَقَـامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِشَـدِّ وَثَاقِ إِسْمَاعِـيلَ، فَرَبَطَ يَدَيْهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ بِالحِـبَالِ، وَأَحْكَمَ الرِّبَاطَ، وَسَاعَدَهُ إِسْـمَاعِيلُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ صَابِرٌ مُـحْتَسِبٌ، وَقَالَ لَهُ:

يَا أَبَتِ كُـبَّنِي عَلَى وَجْهِي حَـتَّى لا تُشْـفِقَ عَلَيَّ، وَأَحِدَّ السِّكِّينَ، وَسِنَّهَـا سَنًّا جَيِّـدًا لِتَكُونَ قَاطِعَةً فَلا يَكْثُرَ أَلَمِي، وَقُمْ بِتَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ، وَلا تُبْطِئْ.

ثُمَّ تَابَعَ إِسْمَـاعِيلُ حَدِيثَهُ لأَبِيـهِ فَقَالَ لَهُ: وَإِنْ أَرَدْتَ يَا أَبِي أَنْ تَرُدَّ قَمِـيصِي عَلَى أُمِّي فَافْعَلْ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِي هَذَا سَلْوَى لَهَا، وَادْعُ اللهَ لَهَا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا قَضَى اللهُ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: نِعْمَ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بُنَيَّ عَلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ.

ثُمَّ شَحَذَ شَفْرَتَهُ وَأَحْكَمَ وَثَاقَ ابْنِهِ، وَكَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، جَاعِلاً جَبِينَهُ إِلَى الأَرْضِ، لِئَلا يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ، وَشَهِـدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، ثُمَّ هَمَّ بِذَبْحِ وَلَدِهِ، وَلَكِنْ حَدَثَ مَا لَمْ يَخْطُرْ لَهُ بِبَـالٍ، فَهُوَ لَمْ يَكَدْ يَسْحَبِ السِّكِينَ عَلَى قَفَا وَلَدِهِ لِيَـذْبَحَهُ حَتَّى سَمِعَ مُنَادِيًا مِنْ خَلْفِـهِ يَقُولُ: يَا إِبْرَاهِيمُ قَـدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا، وَنَجَـحْتَ فِي الابْتِـلاءِ، وَتَجَاوَزْتَ الاخْتِبَـارَ، وَنِلْتَ فِيهِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَقَـدْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُثِيبَكَ عَلَى الطَّاعَةِ، فَـافْتَدِي وَلَدَكَ إِسْمَاعِيلَ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

وَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَصْـدَرِ النِّدَاءِ، فَإِذَا بِجَـانِبِهِ كَبْشٌ أَبْيَضُ أَعْيَنُ، أَقْـرَنُ، سَمِينٌ، لَمْ تَنْظُرِ العَيْنُ إِلَى كَبْشٍ أَصَحَّ مِنْهُ، وَلا أَبْهَى هَيْئَـةً. فَعَرَفَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ هَذَا الْكَبْشَ لِفِدَاءِ وَلَدِهِ، فَأَخْلَى ابْنَهُ مِنَ الوَثَاقِ، وَفَكَّ عَنْهُ الحِـبَالَ الَّتِي كَانَ قَـدْ رَبَطَـهُ بِهَا، وَأَقَـامَهُ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ، وَرَاحَ يُقَبِّلُهُ وَهُوَ يَبْكِي مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ، وَهُوَ يَقُولُ:

يَا بُنَيَّ لَقَدْ وَهَبَكَ اللهُ لِي اليَوْمَ مِنْ جَدِيدٍ، وَكَأَنَّكَ تُولَـدُ مَرَّةً أُخْرَى، فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي ابْتَلانِي ، ثُمَّ عَافَانِي، وَاخْـتَبَرَنِي، وَأَقْدَرَنِي عَلَى اجْتِيَازِ الاخْـتِبَارِ. ثُمَّ أَوْثَقَ الْكَبْشَ، وَذَبَحَهُ شَاكِرًا للهِ فَضْلَهُ، حَامِدًا لَهُ عَلَى جَزِيلِ نِعَمِهِ.

وَختَمَ الوَالِدُ حَـدِيثَهُ، فقَالَ: أَلا مَـا أَعْظَمَ ابْتِلاءَ اللهِ لإِبْرَاهِيمَ ووَلَدِه إِسْمَاعِـيلَ، وَمَا أَكْرَمَ مَا يُجَازِي اللهُ بِهِ الصَّابِرِينَ. وَمَا أَعْظَمَ مَا رَأَيْنَا مِنَ النَّبِيَّيْنِ الكَرِيمَيْنِ مِنْ رِضَاءٍ وَتَسْلِيمٍ.

وَأَرَادَ الْوَالِدُ أَنْ يُنْهِيَ جَلسَتَهُ، فَاسْتَدْرَكَتْ إِيمَانُ، قَائِلَةً:

لَقَدْ قَرَأْتُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْـه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، قَالَ: «**أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ**». إِشَارَةً إِلَى قِصَّةِ إِسْمَاعِيلَ، الَّذِي هُوَ الذَّبِيحُ الأَوَّلُ، فَهَلْ يَسمَحُ الوَالِدُ الكَرِيمُ بِأَنْ يَحْكِيَ لَنَا نُبْذَةً عَنِ الذَّبِيحِ الثَّانِي؟.

قَالَ الوَالِدُ: حَقًّا، إِنَّ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ، وَمَـا دُمْنَا قَدْ عَرَفْنَا قِـصَّةَ الذَّبِيحِ الأَوَّلِ إِسْمَاعِيلَ، فَلْنَذْكُـرْ شَيْئًا عَنِ الذَّبِيحِ الثَّانِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْـدِ الْمُطَّلِبِ، أَبِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلا تَنْسَوْا أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ- عَلَيهِ السَّلامُ.

وَتَابَعَ الوَالِدُ حَدِيثَهُ فَقَالَ: يَقُولُ رُوَاةُ السِّيرَةِ النَّبوِيَّةِ العَاطِرَةِ، أَنَّ عَبدَ الْمُطَّلبِ جَدَّ النَّبِيِّ ﷺ ، أَرَادَ أَنْ يُعِيدَ حَـفْرَ بِئْرِ زَمزَمَ بَعْـدَ أَنْ كَانَتْ قَدْ رُدِمَتْ، وَكَانَ وَحِـيدًا لَيْسَ لَهُ إِلا ابْنٌ وَاحِدٌ، وكَانَ الْعَرَبُ مِنْ حَوْلِهِ يَسخَرُونَ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِه الَّذِي يُسَاعِدُهُ فِي حَفْرِ زَمْزَمَ،فَنَذَرَ أَنْ لَوْ رَزَقَهُ اللهُ بِعَشْرَةِ أَوْلادٍ لَذَبَحَ مِنْهُمْ وَلَدًا، وَمَـرَّتِ الأَعْوَامُ، وَأَنْجَبَ عَشْرَةَ أَوْلادٍ، وَأَرَادَ أَنْ يُوفِيَ بِالنَّذْرِ، وَسَأَلَ نَفْسَهُ كَيْفَ يَخْتَارُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يُضَحِّي بِهِ.





وَهَدَاهُ التَّفْكِيـرُ أَنْ يَعْمَلَ قُرْعَـةً بَيْنَ أَوْلادِهِ فَمَنْ رَشَّحَتْـهُ الْقُرْعَةُ لِلذَّبحِ ذَبَحَـهُ، وَكَتَبَ أَسماءَ أَوْلادِهِ عَلَى عَشْرَةِ سِهَامٍ وَضَعَهَا فِي جُعْبَـةٍ لِيَتَقَدَّمَ الكَاهِنُ فَيَختَارَ وَاحِدًا مِنْهَا، وَكَانُوا يُسَمُّونَ هَذِهِ العَمَلِيَّةَ (ضَرْبَ القِدَاحِ) وَاخْتَارَ الكَاهِنُ السَّهمَ، فَكَانَ بِاسْمِ عَبدِ اللهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ أَصْغَرَ أَبْنَاءِ عَـبدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ، فَـلَمْ تَطِبْ نَفْسُهُ لِذَبحِ عَبدِ اللهِ، وَأَعَـادَ القُرْعَةَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ، وَلَكِنَّ الـسَّهمَ يَختَارُ عَبـدَاللهِ، فَأَقْدَمَ عَبـدُ المطَّلِبِ عَلَى الوَفَاءِ بِالنَّذْرِ، وَلَكِنَّ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ، ثَارُوا وَقَالُوا: لا يُمكِنُ أَنْ نَترُكَ عَبدَ الْمُطَّلِبِ يَذْبَحُ عَبْدَ اللهِ، فَاخْتَارُوا طَرِيقَةً يُمكِنُ بِهَا إِنْقَـاذَهُ، وَالتَقَوْا بِعَبدِ الْمُطَّلِبِ، وَنَاقَـشُوهُ فِي الأَمْرِ، وَاقْتَرَحُـوا عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى كَاهِنَةٍ تُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ الحَرَجِ.



وَقَالَت الكَاهنَةُ: اعْـمَلُوا القُرعَةَ بَينَ عَـبد الله وَبَيْنَ عَشْـرِ نياق، فَإذَا خَرجَتْ عَلَيْـهَا فَاذبَحُـوهَا، وَافْتَدَوُا عَـبدَ الله بهَا، وَإذَا خَـرَجَتْ عَلَى عَبد الله فَـزِيدُوا عَشْرَ نيَـاق أُخْرَى، وَهكَذَا، زِيدُوا عَشْرًا بَعْدَ عَشْرٍ حَتَّى تَخرُجَ القُرعَةُ عَلَى النِّيَاقِ فَاذْبَحُوهَا فدَاءَ عَبْدِ الله.

وَعَملَ عَبدُ الْمُطَّلبِ القُرعَةَ، فَخَرَجَتْ عَلَى عَبدِ الله، فَزَادَ عَشرَ نياق، ثُمَّ عَشْرًا إلَى أَنْ وَصَلَتْ إلَى تسعينَ نَاقَةً، فَخَرجَتْ أَيْضًا عَلَى عَـبد الله، فَلَمَّا صَارَت النِّيَـاقُ مائَةً خَرجَت القُرعَةُ عَليَـهَا، فَذَبَحَهَا عَـبدُ الْمُطَّلبِ وَفَاءً لنَذْرِه، وَفدَاءً لولَده عَبـد الله، وَمنْ هُنَا جَاءَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ**».

وَاقْرَءُوا يَا أَوْلادِي:

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ [**الصافات**].

وَإِلَى اللِّقَاءِ فِي القِصَّةِ التَّالِيَةِ (٩٧)

وَعُنْوَانُهَا: (مؤمنون من آل فرعون)

الأَسْئِلَةُ

١- تركَ إبْرَاهِيمُ- عَلَيْه السَّلامُ- هَاجَرَ وَوَلَدهَا إسْمَاعِيلَ فِي مكَان مُوحِشٍ لَيْسَ فيه أَنِيسٌ، اذْكُرِ الحِوَارَ الَّذِي دَارَ بَيْنَهُمَا لَحْظَةَ فِرَاقِهِمَا، وكَيْفَ اسْتَقْبَلَتْ هَاجَرُ مَعِيشَتَهَا هُنَاكَ؟.

٢- تَطَوَّرَ المكَانُ القَفْرُ إِلَى مكَانٍ عَامِرٍ بِالنَّبَاتِ وَالطُّيورِ وَالنَّاسِ، كَيْفَ حدَثَ هَذَا التَّطَوُّرُ وَمَا أَسْبَابُهُ؟.

٣- أَمَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ بِذَبحِ ولَده إِسْمَاعِيلَ- عَلَيهِمَا السَّلامُ-. كَيْفَ جَاءَهُ هَذَا الأَمْرُ، وَبِمَاذَا اسْتَقبَلَ إِسْمَاعِيلُ هَذَا الخَبَرَ، وَمَا الَّذِي تَدُلُّ عَلَيْه رَغْبَتُهُمَا فِي التَّنْفِيذِ؟.

٤- أَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يُعوِّقَ خَلِيلَ اللهِ وأُسْرَتَهُ عَنْ الاسْتِجَابَةِ لأَمْرِ اللهِ، فَمَاذَا فَعلَ؟، وَمَا الرَّدُّ الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْهُمْ، فَرَجَعَ خَاسِئًا مَدْحُوراً؟.

٥- فِي مَنَاسك الحَجِّ أَعْمَالٌ لَهَا جُذُورٌ تَارِيخيَّةٌ تَتَّصلُ بِقصَّة الفدَاء هَذِه، مَا هِيَ؟، وَمَاذَا يَفْعَلُ حُجَّاجُ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ تَذَكُّرًا وَتَذْكِيرًا بِمَا حَدَثَ لإِسْمَاعِيلَ فِي مِنَى؟.

٦- كَيْفَ تَمَّ الفِدَاءُ؟ وَمَاذَا فَعَلَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَعْدَ تَمَامِهِ؟.

٧- مَنْ هُوَ الذَّبِيحُ الثَّانِي؟ وَلِمَاذَا أَطْلَقُوا عَلَيْهِ هَذَا اللَّقَبَ؟.

دَرْسُ النَّحْوِ

المفْعُولُ مَعَهُ

قَدْ نَعْطِفُ اسمًا عَلَى اسمٍ آخَرَ سَبَقَهُمَا فِعْلٌ أَوْ مَا يُؤَدِّي مَعْنَى الفِعْلِ، وَيَكُونُ الْعَطْفُ بِحَرْفِ الوَاوِ، وَفِي بَعْضِ الحَالاتِ تَكُونُ هَذِهِ الوَاوُ بِمَعْنَى «مَعَ» وَنُسَمِّيهَا «وَاوُ المعيَّةِ» مِثْلُ حَضَرَ المُدرِّسُ وَالتَّلامِيذُ، أَيْ مَعَ التَّلامِيذِ، لَيْسَ قَبلَهُمْ وَلا بَعْدَهُمْ.

وَقَسَّمَ عُلمَاءُ النَّحوِ الاسْمَ الوَاقِعَ بَعْدَ هَذِهِ الوَاوِ إِلَى نَوْعَيْنِ:

١ - **النَّوعُ الأَوَّلُ**: مَا يَجِبُ نَصْبُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ.

٢ - **وَالنَّوعُ الثَّانِي**: يَجُوزُ نَصْبُهُ عَلَى أَنَّهُ مَفعُولٌ مَعَهُ، أَوْ إِعْرَابُهُ مَعْطُوفًا عَلَى مَا قَبْلَ الوَاوِ.

أَمَّا النَّوعُ الأَوَّلُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ نَصْبُهُ فَمَحلُّهُ إِذَا لَمْ يَصِحَّ تَشْرِيكُ الاسْمَيْنِ فِي وُقُوعِ الفِعْلِ مِنْهُمَا، وَمَثَّلُوا لَهُ بِقَوْلِهِمْ: «سِرْتُ وَالجَبَلَ» فَالجَبَلُ لا يُمكِنُ أَنْ يَسِيرَ مَعَ السَّائِرِ، فَلا يُرفَعُ مَعْطُوفًا، بَلْ يُنصَبُ مَفْعُولاً مَعَهُ.

أَمَّا النَّوعُ الثَّانِي فَمَحلُّهُ إِذَا صَحَّ تَشْرِيكُ الاسمَيْنِ فِي الفِعْلِ، تَقُولُ: حَضَرَ مُحمدٌ وَخَالِدٌ، فَيَجُوزُ أَنْ تَرْفَعَ لَفْظَ «خَالِدٌ» مَعْطُوفًا، وَيَجُوزُ أَنْ تَنْصِبَهُ مَفْعُولاً مَعَهُ.

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بني إسرائيل
٤- بقرة بني إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا في سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى في السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوي الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بني إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون في المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون في ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.
٥٧- يا بني اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام في غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التي نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذي أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر في الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر في الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر في الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادي المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حي.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام في بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوي الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث